الجزء الرابع

القرآن
معجزة المعجزات

obeikandl.com

الفصل الأول

التحدي الخالد

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ[1] عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[2][3].

تعريف المعجزة

من المفيد أولاً أن يكون لدينا فكرة واضحة عما نعنيه بكلمة «معجزة». وهاكم بعض التعاريف:

«هي حادث لا يبدو له تفسير من قوانين الطبيعة، لدرجة أن يعتبر سببه فوق الطبيعة أو أنه من فعل الله جلّ وعلا».

«هو شيء أو شخص أو حادث يثير العجب إلى درجة الرهبة».

«حدث يفوق القدرة البشرية، وبكلمة أخرى: استحالة».

ومن المنطقي أنه كلما ازدادت درجة الاستجابة ازدادت أهمية المعجزة. فعلى سبيل المثال إذا توفي أحدهم أمامنا وشهد على وفاته أطباء مؤهلون ثم جاء رجل روحي وأمره بالنهوض فقام ومشى لاعتبر ذلك معجزة، أما إذا تم إحياء الجسد بعد ثلاثة أيام

---

(١) يقول عبد الله يوسف علي إنه من دراسة ومقارنة النصوص القرآنية يبدو أن تعريف الجن هو: «روح من الأرواح، أو قوة خفية». وفي فهرست «ترجمة معاني القرآن الكريم» يورد خمسة نصوص قرآنية وخمسة حواشي عن الجن.

(٢) إن مصداقية القرآن تكمن في طبيعته ومضمونه وبلاغته والظروف التي نزل بها وإعجازه. وهو قد تحدى المشككين أن يأتوا بكتاب مثله وقد حاولوا وفشلوا، والقرآن هو الكتاب الوحيد المنزّل الذي بقيت نصوصه نقية ومنزهة عن التحريف منذ ١٤٠٠ عام.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٨ .

مثلاً من بقائه في المشرحة لاعتبر ذلك معجزة أكبر، وأخيراً إذا تم بعث الميت من القبر بعد عقود أو قرون من تحلل جثته لاعتبر تلك المعجزة الأكبر.

السمة المشتركة

لقد كان من عادة الناس منذ القدم أنه كلما جاءهم رسول من الله لإرشادهم إلى الهداية الإلهية، يطلبون من الرسل براهين فوق الطبيعة بدلاً من قبول الرسالة على أساس جدارتها الذاتية.

فمثلاً عندما بعث عيسى المسيح -عليه السلام- إلى قومه بني إسرائيل ليرشدهم وينهاهم عن مجرد التمسك الشكلي بالقانون ولتعليمهم الروح الحقيقية للشريعة والوصايا، طلب منه قومه المعجزات لكي يبرهن لهم مصداقيته وأصالته كما هو مذكور في الأسفار النصرانية:

«حينئذ أجاب بعض الكتبة والفريسيين قائلين: يا معلم، نريد أن نرى منك آية (معجزة)! ولكنه أجاب وقال لهم: جيل شرير وفاسق يطلب آية (معجزة)، ولن تعطى له آية (معجزة) سوى آية (معجزة) النبي يونس»[1].

ورغم أن عيسى -عليه السلام- رفض أن يسترضي اليهود في هذه الحادثة، إلا أنه نفذ معجزات كثيرة بالفعل في مناسبات أخرى كما هو مذكور في الأسفار.

إن الكتاب المقدس مليء بالأحداث فوق الطبيعة المنسوبة إلى الأنبياء، وفي الحقيقة إن كل تلك (الآيات) و(الأعاجيب) و(المعجزات) هي من فعل الله جلّ وعلا، ولكن حيث إنها نفذت عبر رسله من البشر فقد جرت العادة أن تنسب إلى الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه.

---

(١) ماذا كانت نتيجة «الآية الوحيدة» التي أراد عيسى -عليه السلام- أن يقدمها لهم؟ لمزيد من الشرح والتفاصيل عن هذا الموضوع، احصل على نسختك المجانية من كتاب «ماذا كانت آية يونس؟» من المركز.

المراوغة مستمرة

بعد حوالي ستمائة عام من ولادة عيسى المسيح -عليه السلام- ولد في مكة محمد ﷺ، وعندما بعث وهو في الأربعين من عمره طلب منه مواطنوه (المشركون) أن يجيء بالمعجزات، تماماً كما طلب اليهود في الماضي من مسيحهم المنتظر، حدث ذلك كما لو أن العرب استعاروا صحيفة من سجلات النصرانية، فيكرر التاريخ نفسه:

﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾[1].

آيات! أي آيات؟

آيات؟ يقول لهم،أي آيات تطلبون؟ ألستم أنتم بأنفسكم موجودين؟ خلقكم الله، انشأكم من الطين، كنتم أطفالاً صغاراً بالأمس، وقبلها لم تكونوا أصلاً، تمتعتم بالشباب والجمال والقوة والفكر، وفيما بينكم مودة ورحمة، ثم تقدم بكم العمر، وخالط الشيب شعركم، وانحسرت قوتكم إلى ضعف[2]، فعمّرتم ونكستم في الخلق[3]، ثم تهلكون، جعل بينكم مودة ورحمة، لقد أذهلني ذلك جداً! لولا فضل الله لما كانت بينكم تلك المودة والرحمة، كيف يمكن أن يكون الحال بدونهما، إنها نقطة عظيمة ولمحة مباشرة في حقيقة الأمور. (من كتاب الأبطال وتمجيد البطل والبطولة في التاريخ لتوماس كارلايل، on Heroes and Hero - Worship and the Heroic in History).

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥٠ .

(٢) قال تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤]، (المترجم).

(٣) قال تعالى ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس: ٦٨]، (المترجم).

لقد أذهلني ذلك جداً

لقد ذهل توماس كارلايل كيف أن الحكمة الإلهية جعلت بين الناس المودة والرحمة، ولعل الآية القرآنية التي قرأ ترجمتها وحركت مشاعره هي قوله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وللأسف أنه لم تكن توجد أيام توماس كارلايل تراجم موضوعية لمعاني القرآن الكريم، كما هي الحال اليوم حيث يوجد منها العديد في عصرنا هذا منها الجيد ومنها الفاسد، ويبدو أن الترجمة الوحيدة التي كانت في متناوله عام ١٨٤٠ هي ترجمة المدعو جورج سال George Sale، إذ قال كارلايل نفسه بالصفحة ٨٥ من كتابه المذكور:

«بإمكاننا أن نقرأ القرآن، أو بالأحرى ترجمتنا له بقلم جورج سال، والتي عرف عنها أنها ترجمة عادلة جداً».

تلطيخ السمعة والتلويث هو الدافع

ويبدو أن توماس كارلايل كان كريماً جداً وسمحاً مع مواطنيه، فقد كانت دوافع جورج سال لترجمة القرآن موضع ريبة فهو نفسه لم يترك مجالاً للشك في نواياه وفي عدائه الصريح للقرآن، وقد صرح بذلك عمداً في مقدمة الترجمة التي أعدها عام ١٧٣٤ قائلاً إنه ينوي الكشف عن حقيقة محمد وزيفه (كذا)، وقد كتب: «من الذي يخشى أي خطر من هذا الزيف المكشوف؟.. لقد تمكن البروتستانت بمفردهم من

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١ .

مهـاجمة القـرآن بنجاح، وأرجو أن تحـفظ العناية الإلهية لهم مـجد تدميـره». (جورج سال George Sale).

ويمكن مـلاحظة التحـامل السافـر في ترجـمة جـورج سال من قـراءة النص الذي (أذهل) تومـاس كارلايل جـداً! وهو ترجمـة الآية ٢١ من سورة الروم، حـيث ترجم جورج سال قوله تـعالى (لتسكنوا إليها) فجـعلها بالانكليزية (cohabit) أي أن يعيش الرجـال والنساء مـعاً دون زواج رسـمي (انظر قامـوس Readers Digest Universal Dictionary)، وقد عـمي أو تعامى جورج سـال عن المعنى الحقـيقي لعبـارة (لتسكنوا إليها) التي تدل على السكينة والهدوء والسلوى والعـزاء مما يزود به الزوجان بعضهما البعض.

ولا أظن أن جورج سال كان في أيامه «خنزيراً مغـالياً في التعصب للذكورة» حتى ظن النساء مجرد مـتعة للجنس [1]، إنما كان يفي بوعده كما قـال في مقدمته، التي لم يقرأها توماس كارلايل على ما يبدو.

لقد اختارت العناية الإلهية النصوص القرآنية بعناية دقيقة، حيث فصلت كل كلمة من القرآن في موضعها المناسب مما جعل النصوص القرآنية من آيات الله.

يسألون عن آية

أية آيات؟ إنهم يعنون آيات خـاصة كالتي تصـورها لهم عقولهم القـاصرة، إن الله على كل شيء قدير، ولكن الله لن يستجيب لحماقاتهم وطلباتهم الضحلة. لقد أرسل

---

(١) في اللغة العربية تطلق كلمة زوج على الذكر وعلى الأنثى فالرجل هو الزوج والمرأة هي الزوج أيضاً، وفي قوله تعالى ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (سورة البقرة الآية: ٣٥)، ولذلك فـإن السكينة المشار إليها في الآية ٢١ من سورة الروم متبادلة بين الزوجين. (المترجم).

لهم رسوله ليشرح لهم آياته بوضوح ولينذرهم عواقب الرفض. أليس ذلك أكثر من كاف؟ لقد صورت لهم عقولهم المحدودة الطلبات التالية بشكل خاص:

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾[1].

ولتسمع إلى الإقناع اللطيف من محمد ﷺ تجاه طلبات المشركين الساخرة غير المعقولة:

﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

ولنستمع أيضاً إلى هذا الجواب الجليل الذي أمره به ربه:

﴿ ... قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[3].

وفي الآية التالية يشير النبي ﷺ إلى القرآن الكريم نفسه جواباً على شكوكهم حيث يطلبون الإشارات والمعجزات التي تاقت إليها عقليتهم الوثنية، ذلك أن جحودهم وإنكارهم وسخريتهم وقلة إيمانهم، كل ذلك دفعهم إلى طلب الآيات، والجواب: انظروا إلى القرآن!

---

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٩٠-٩٣ .

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٠ .

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٥٠ .

﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(١).

برهانان

يورد تعالى حجتين برهاناً على إعجاز القرآن:

١- إن الله تعالى أوحى الكتاب إلى عبده محمد ﷺ النبي الأمي الذي لم يعرف القراءة ولا الكتابة! ولندع توماس كارلايل ثانية يشهد عن خلفية محمد ﷺ الثقافية:

«نقطة هامة يجب أن لا ننساها أبداً: إنه لم يتعلم في أية مدرسة بمفهوم المدارس في أيامنا هذه، لم يتمتع بأي تعليم على الإطلاق».

وفوق ذلك يشهد الله تعالى أنه لم يكن بإمكان محمد ﷺ كتابة القرآن أو تأليفه:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾(٢).

لم يكن محمد ﷺ متعلماً، ولو كان متعلماً يقرأ ويكتب لأمكن النظر في حجة المشككين، الذين اتهموه بأنه نقل من كتابات اليهود والنصارى، أو أنه درس أرسطو وأفلاطون، أو أنه قرأ الزبور والتوارة والإنجيل وأعاد الصياغة بأسلوب جميل، فلو كان متعلماً لكان لمدعي البهتان حجة، ولكن حتى هذا الادعاء الواهي لم يحمل مثقال ذرة من المصداقية في واقع الأمور(٣).

٢- إن القرآن نفسه يحمل في ثناياه براهين صحته، والله تعالى تحدى الناس أن يتدبروا القرآن للتأكد من أصالته:

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥١ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨ .

(٣) من المعروف أن الكتاب المقدس لم يكن مترجماً إلى اللغة العربية أيام الرسول ﷺ، وإنما بدأت تراجمه إلى العربية تظهر في القرن العاشر الميلادي.

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾[1].

الانّساق والتماسك

من غير المعقول لأي مؤلف بشري أن يبقى متناسقاً ومتسقاً في تعاليمه ومواعظه لفترة ثلاثة وعشرين عاماً، فمنذ بدأت بعثة النبي وهو في الأربعين من عمره وحتى وفاته -عليه الصلاة والسلام- في الثالثة والستين من عمره كان يبشر بالإسلام ويمارسه ويعطي التعليمات والتوجيهات الدينية والدنيوية ويلقي الخطب رغم قسوة التقلبات في ظروف حياته، أي رجل غيره في مثل هذه المهمة كانت ستجبره الظروف على قبول الحلول الوسط «المشرّفة» ولن يسعه عندئذ سوى التناقض مع نفسه! لا يتأتى لأي بشر إطلاقاً أن يستمر بالكتابة بنفس الروح طيلة هذه المدة، إن رسالة القرآن متماسكة ومتسقة وثابتة ومتينة! غير أن حجج الجاحدين لا تتجاوز الجدل لمجرد الجدل والعناد لمجرد العناد رغم النور الذي يشع بداخلهم ورغم قناعاتهم الذاتية.

أضف إلى ذلك أن إشارة القرآن إلى بعض ظواهر الكون والعلم مما لم يكن معروفاً للبشر في حينه، ولم تنكشف إلاّ بعد تطور العلوم وحصول الاكتشافات الحديثة التي أكدت الإعجاز القرآني العلمي أيضاً ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾[2].

البرهان الذاتي

مراراً وتكراراً عندما كان الساخرون والمكابرون يطلبون «المعجزات» من النبي ﷺ كان جواب الوحي يشير إلى القرآن على أنه المعجزة! وبالفعل فإن الحكماء والعلماء

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢ .

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢ .

ومن تمتع من الناس بالروحانية وثاقب النظر أدركوا أن القرآن معجزة لا شك فيها.

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ[1] وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ[2]﴾[3].

(١) أ- العلم هنا قد يكون المقدرة على تمييز الحق من الباطل لدى الذين عندهم معرفة بالكتب المنزلة سابقاً، سواء سعة المعرفة بالكتب نفسها أو الروحانية الثاقبة أو كليهما والإشارة هنا إلى الصدر: أي العقل أو الفهم والإدراك.

ب- وقد يكون العلم أيضاً هو العلم الطبيعي الكوني إشارة إلى الإعجاز العلمي للقرآن الذي يفهمه صدور الذين أوتوا العلم أي كبارهم، كما قال الشاعر (لنا الصدر دون العالمين أو القبر)، وقد يكون الاثنين معاً. (المترجم).

(٢) تتقدم الآية خطوة أخرى في البيان إذ الجحود ليس إلا تعبيراً عن الظلم، لأنه انحراف متعمد للسير ضد الآيات البينات التي يلزم أن تقنع جميع الناس الموضوعيين ممن ليس في قلوبهم مرض.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩ .

obeikandl.com

الفصل الثاني

العلم والوحي القرآني

الثناء والتقدير بلا حقد

يوجد في العالم اليوم أكثر من ألف مليون مسلم يؤمنون بالقرآن بلا ريب على أنه كلام الله المنزل وعلى أنه المعجزة.

حتى المجاهرون بعدائهم للإسلام يظهرون أحياناً التقدير والإعجاب تجاه الإعجاز القرآني، فالقس بوزورث سميث Rev. Bosworth - Smith في كتابه «محمد والمحمدية»[1] يرى ما يلي:

أ- «القرآن معجزة في نقاوة الإبداع الأدبي والفني، ومعجزة في الحكمة والحقيقة».

أما العالم الإنجليزي أربري A.J. Arberry الذي ترجم القرآن إلى الإنجليزية أيضاً فقد كتب في مقدمة ترجمته:

ب- «كلما سمعت ترتيل القرآن فكأنني أستمع إلى موسيقى، وفي أعماق الأنغام يسمع باستمرار إيقاع صوت طبل بلا توقف كأنه إيقاع ضربات قلبي».

فمن هذه الكلمات وتتمة المقدمة التي كتبها تشعر بأن الرجل كان مسلماً، ولكن لسوء حظه فقد توفي خارج نطاق الإسلام. وهنالك إنكليزي آخر ترجم القرآن الكريم اسمه مارمادوك بيكتول Marmaduke Picktall كتب في مقدمة ترجمته ما يلي:

ج- «هذه السيمفونية التي يستحيل تقليدها، والتي تدفع سامعيها إلى البهجة الغامرة لدرجة انسياب الدموع».

---

(١) عند المسلمين لا يوجد شيء اسمه «المحمدية» فهم يدينون بدين الإسلام وأتباعه مسلمون وليسوا محمديين كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١٩). (المترجم).

لقد دخل مارمادوك بيكتول الإسلام قبل ترجمته القرآن الكريم،، ولسنا على علم إن كان التأثير الذي ذكره كان قبل أو بعد إسلامه.

د- بعد الكتاب المقدس فإن القرآن هو الكتاب الديني الأكثر اعتباراً وقوة في العالم. (كريستي ولسون في كتابه «تقديم الإسلام» J. Christie Wilson in "Intro-ducing Islam" N.Y.).

هـ- إن القرآن هو الكتاب المقدس عند المسلمين، وهو أكثر احتراماً وتبجيلاً من أي كتاب مقدس آخر، أكثر من العهد القديم عند اليهود، وأكثر من العهد الجديد عند النصارى. (دكتور اللاهوت شيليدي في كتابه «سيدنا عيسى في القرآن» J. Shillidy, D.D. ص١١١).

ولا يوجد صعوبة في الاستشهاد بأقوال كثيرة غيرها، من الأصدقاء والأعداء على السواء، في مديح القرآن الكريم، الوحي الأخير والنهائي الذي أنزله الله تعالى إلى عباده. لقد رأى فيه معاصرو محمد ﷺ الجمال والجلال ونبل المقصد والسماحة والرحابة، وباختصار رأوا فيه آيات الله فدخلوا الإسلام. غير أن المشككين سيقولون إن كل عبارات التقدير والثناء التي قيلت في القرآن ليست إلا مشاعر شخصية، وقد يتذرع الأجنبي أيضاً أنه لا يعرف العربية فيقول: «إنني لا أقرأ ما تقرؤون ولا أرى ما ترون ولا أشعر بما تشعرون فكيف لي أن أوقن بوجود الله وأنه هو الذي نزّل على عبده محمد هذه الرسالة الجميلة، القرآن؟ وقد يقول أيضاً: إنني لا أنكر جمال فلسفته، ولا نبل أخلاقياته، إنني مستعد للإقرار بأن محمداً كان رجلاً مخلصاً وأنه أعطى عدة مبادئ سلوكية لطيفة لرفاهة الإنسان، غير أنني لست مستعداً للإقرار بما يعتقده المسلمون بأن القرآن ذو طبيعة فوق بشرية.

كلام المنطق

لمثل هذا النوع من التأييد المتعاطف والساخر في نفس الوقت، يستخدم الله تعالى في القرآن الكريم مزيجاً من الحجج لتبديد الوساوس، فبالنسبة للملحدين والمتجاهلين والمتهكمين والمشككين الذين يتمتعون بقدر عال من المعرفة العلمية ممن يعتبرون أنفسهم «عمالقة الفكر»، يكون التركيز على تذكيرهم بأنهم ليسوا في حقيقة الأمر سوى أقزاماً، الأقزام التي يحتمل أنها حققت بعض النمو الشاذ في أحد الاتجاهات على حساب توقف النمو أو تعويقه في الاتجاهات الأخرى، كمثل الرأس الضخم مثلاً على جسد سقيم، فيضعهم الخالق عز وجل موضع التساؤل.

ولكن قبل ذلك أحاول إشباع فضولي في سؤال أمثال هؤلاء عن نظريتهم في بداية الكون طالما أنهم يدرسون الفلك ويشاهدون بعض زوايا الكون من خلال مناظيرهم الضخمة من ضمن أبحاثهم؟ إن النظرية السائدة لديهم في هذه الأيام هي نظرية الانفجار الكبير Big Bang والتي تتلخص في انفجار تلك الكتلة الضخمة من المادة وتبعثرها وانتشارها في كافة الاتجاهات، مما سبب نشوء نظامنا الشمسي الذي يعتبر جزءاً من مجرة ضخمة ناهيك عن ألوف بل ملايين المجرات غيرها التي تسبح في الفضاء متباعدة عن بعضها البعض، وفي ذلك يحضرني قوله تعالى:

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[1].

(١) سورة يس، الآيات: ٣٨-٤٠ .

سيقول علماؤهم إن الكون يزداد اتساعاً وامتداداً، فالمجرات تبتعد عن بعضها البعض بتسارع يزداد أكثر فأكثر نتيجة الانفجار الكبير حتى يصل التباعد إلى سرعة الضوء، وهنا أيضاً يحضرني قوله تعالى ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا..﴾[1].

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2].

نظرية الانفجار الكبير

ففي الآية ٣٠ من سورةالأنبياء نلاحظ أن المخاطبين هم الكفار من العلماء والفلكيين والفيزيائيين الذين رغم توصلهم إلى تلك الاكتشافات عميت بصيرتهم فلم يعرفوا خالق الكون! وقد وصف ذلك توماس كارلايل في كتابه «البطل وتمجيد الأبطال»:

«رغم مختبراتنا العلمية، ومع علومنا وموسوعاتنا، فإننا نميل إلى نسيان الألوهية».

كيف استطاع راعي الجمال والماعز الأمي أن يعرف ما يكتشفه العلماء حديثاً إن لم يكن القرآن وحياً منزلاً؟

أصل الحياة

وعندما تسأل علماء اليوم عن أصل الحياة فإنهم يتحدثون عن نظرية ارتقاء المادة الأولية في البحار منذ بلايين السنين والتي بموجبها تكوّن البروتوبلاسم[3] ومنها

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٣ .

(٣) البروتوبلاسم هي أصل المادة الحية (إن القدرة الحيوية للبروتوبلاسم تكمن في استمرار وجود الماء) Lawson Textbook of Botany لمزيد من الشرح عن هذه الآية انظر «ترجمة معاني القرآن الكريم لعبد الله يوسف علي».

نشأت وحيدات الخلية ثم من تلك الحمأة في الوحول نشأت جميع المخلوقات الحية من البحار أي الماء! وهنا أيضاً نتذكر قوله تعالى ﴿ ..وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

وتفصيل ذلك أيضاً في قوله تعالى في سورة النور:

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

نزل هذا الوحي على النبي الأمي في الصحراء قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام ثم يأتي العلم الحديث اليوم كي يؤيده! فكيف للعلماء أن ينكروا الله الخالق الأحد؟ في حين يجب أن يكونوا أول من يؤمن، سوى أنهم يسمحون لغرورهم بالتفوق على منطقهم!

وأيضاً في سورة «يس» إشارة خفية إلى علماء النبات والحيوان للتدبّر في المخلوقات:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ ﴾.

«خلق الأزواج كلها» إن لغز الجنس يسري في جميع الخلق، البشر والحيوان والنبات وغيرها مما لا نعلم، وهناك أيضاً أزواج من القوى في الطبيعة، مثلاً الأقطاب الموجبة والسالبة في الكهرباء.. إلخ. وفي الذرة أيضاً نلاحظ النواة أو البروتون المشحونة إيجابياً تدور في فلكها الالكترونات المشحونة سلباً في أزواج متوازنة من

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠ .

(٢) سورة النور، الآية: ٤٥ .

البروتونات والالكترونات، أي أن تركيب المادة نفسه يشتمل على أزواج من الطاقة المتعاكسة. (من شرح عبد الله يوسف علي في ترجمة معاني القرآن الكريم).

آيات الله

إن آيات القرآن، وهو الكتاب المبين، واضحة ويفسر بعضها بعضاً وقد رأى فيها دارسو القرآن القدرة الإلهية عند كل تقدم علمي يكتشفه البشر[1]، تلك هي الآيات أو المعجزات التي طالما طالب بها المشركون، وفي ذلك ورد قوله تعالى ﴿ .إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾[2].

ومن سخريات الأمور أن (العالمين) هم الجاحدون، ذلك أن ضخامة معلوماتهم المادية سببت لهم الكبرياء والغرور وصرفت معظمهم عن التواضع والاعتراف بالخالق عز وجل، مع أن المرء يتوقع أن يتلازم العلم الحقيقي مع التواضع الحقيقي.

يقول الطبيب الفرنسي موريس بوكاي Maurice Bucaille في كتابه (الكتاب المقدس، والقرآن والعلم La Bible, le Coran, et la Science ص١٢٥) مايلي:

إن الملاحظة أعلاه (يشير بها في كتابه إلى جمع الأحاديث الشريفة والفرق بينها وبين القرآن) تجعل من الادعاء بأن محمداً هو مؤلف القرآن أمراً لا يمكن الدفاع عنه. إذ كيف يمكن لرجل أمي أن يصبح فجأة مؤلفاً كبيراً من الناحية الأدبية المحضة، في خضم الأدب العربي الواسع؟

---

(١) رغم الإعجاز العلمي في القرآن يلزم أن يحتاط المسلمون بعدم التسرع في نسبة كل نظرية علمية حديثة أو اكتشاف علمي حديث إلى ما يبدو لوجود مقابله في القرآن الكريم، لأن بعض النظريات العلمية أو الكثير منها عرضة للتغيير في حين أن الحقائق العلمية القرآنية ثابتة لا تتغير. (المترجم).

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٢.

وكيف يمكن له أيضاً أن يكتب حقائق ذات طبيعة علمية يستحيل على أي بشر أن يعرفها أو أن يكون طوّرها في ذلك العصر دون الوقوع في أدنى خطأ يتعلق بموضوعها؟.

الأفكار الأولى

يبدو أن الاهتمام بهذا الموضوع (القرآن معجزة المعجزات) قد نشره سفير الإسلام المتجول، الخطيب البارع، مولانا عبد العليم صدّيقي.. كنت وقتئذ صبياً يافعاً في المدرسة عندما زار مولانا جنوب أفريقيا عام ١٩٣٤ لإلقاء سلسلة محاضرات ومن جملة محاضراته سمعته يتحدث عن (تطور العلوم لدى المسلمين)، ومن ثم نشر الاتحاد العالمي للبعثات الإسلامية في كراتشي، باكستان، كتيباً بهذا العنوان أعاد إلى ذاكرتي البهجة والإثارة التي أحدثها خطابه وقتما كنت صبياً. وإحياء لذكرى ذلك الرجل الكبير خادم الإسلام سوف أذكر هاهنا لمصلحة الأجيال القادمة اقتباساً من كلام مولانا عن العلاقة بين القرآن الكريم وفروع المعرفة العلمية.

الحض على العلوم

إن التأكيد الذي أمر به القرآن الكريم على وجوب الدراسة العلمية للكون يعتبر ظاهرة فريدة في تاريخ الأديان وتاريخ الكتب الدينية. مراراً وتكراراً يلفت القرآن انتباهنا إلى ظواهر الطبيعة التي حولنا، مراراً يعظ المسلمين وينصحهم وينذرهم بأن طلب المعارف العلمية يعتبر من واجباتهم الدينية، مراراً يؤكد القرآن الحقيقة الكبرى التي لم تكن معروفة قبل نزوله أن كل شيء في الكون مسخر لخدمة الإنسان ويجب أن يستخدم لهذا الغرض، يحضنا القرآن على دراسة تركيب ووظائف الكائنات، تركيب ووظائف وتوزع الحيوانات، صيغة وتركيب ووظائف وتصنيف وتوزيع

النباتات، كل ذلك مما يسمى الآن علوم الحيوان Biology.

يحضنا القرآن على دراسة نظام الطبيعة والخصائص العامة للمادة والطاقة وهو موضوع الفيزياء الحديثة.

يحضنا على دراسة خصائص المواد الأولية والمركبة وقوانين تركيبها وتأثيرها على بعضها البعض وهو موضوع الكيمياء الحديثة.

يحضنا على دراسة التركيب والتكوين المعدني للكرة الأرضية، وطبقات الأرض والتغيرات التي تطرأ على المواد العضوية وغير العضوية.. إلخ. وهو موضوع علوم الجيولوجيا.

يحضنا على دراسة الوصف العام للأرض وتقسيماتها إلى البحار والأنهار والجبال والسهول.. إلخ. وتوزع المعادن والحيوان والنبات في كل منها والتقسيمات السياسية وهو موضوع علوم الجغرافيا.

يحضنا على دراسة الأسباب التي ينتج عنها الليل والنهار وتغير الفصول وحركة الكواكب والنجوم والمجرات والظواهر السماوية وذلك موضوع علوم الفلك.

يحضنا على دراسة حركة الرياح وتشكل وتطور الغيوم وهطول المطر وغيرها من علوم المناخ.

لقرون عديدة كان المسلمون يقودون العالم في مجال الأبحاث والمعارف العلمية، ثم تدريجياً بدأت الزعامة تفلت من أيديهم حتى فشل المسلمون في الاستمرار فتسلمت منهم أوروبا المادية هذا الدور لتعبئة الفراغ الذي تركوه.

ويضيف مولانا عبد العليم صديقي واصفاً الإسهام الإسلامي العلمي كما يلي:

«إن الثورة الفكرية التي أحـدثها الإسلام كانت عـملاقة، لم يترك المسلمـون مجالاً واحداً من مجالات العلوم لم يدرسوه أو لم يتخذوا لأنفسهم فيه مركزاً مرموقاً».

وفي الواقع أن الإسلام يهدف أن يكون المجـتمع الإسلامي مجتمعـاً فكرياً عقلانياً، إذ إن تطوير العلوم والتـعلم هو أحـد الأهداف الرئيـسـية لـه. ولولا المسلمين لما رأت أوروبا طريقـها إلى النـهضـة والنور، ولما طلع عليـها عـصـر العلوم الحديثـة، وإن من ينهلون اليـوم من معارف الـغرب هم في الحقـيقـة تلامذة المجـتمع الإسلامي الـغابر، فالإنسانية تدين للإسلام بدين كبير لا تستطيع أن تفيه، ومن الفضل بحيث لا يمكن أن تنساه.

ثم أنهى الخطيب المفوه مولانا عبد العليم صدّيقي خطابه بالكلمات التالية:

لقـد أوجد الإسلام المجـتمع الإسـلامي المرتبطة جـذروه بالوحي الإلهي، ولا يمكن للمرء أن يكون مسلماً ما لم يعتقـد ويمارس تعاليم الإسلام، وقد فرض الإسلام علينا كمسلمين أن نتساءل عن حقائق الأمور حـولنا لكي يقودنا فضولنا العلمي إلى معرفة الخالق، إن البـحث العلمي في الإسلام ليس هدفـاً بحد ذاته وإنما هو وسـيلة للوصول إلى الهدف الأسمى، ذلك هو الهدف الحقيقي للإنسانية ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

محاضرتي التي أجهضت

لقد حظيت شخـصياً عام ١٩٣٤ بالاسـتماع للخطبة التي أشـرت لها أعلاه من فم المعلم نفـسه. وفي أواخـر الثلاثينات حـصلت على نص الخطبـة مسجـلاً في كتـيب، فحفظت الخطبة غيباً مع بعض التعـديلات عندما كنت عاملاً في متجر لأحد المسلمين قرب محطة إرسالية آدامز Adams Mission Station ، وقد بلغ بي الحماس أن اتفقت

مع كلية آدامز Adams College لإلقاء كلمة على التلاميذ والأساتذة في موضوعها، ولم أكن في ذلك الوقت أعي ضخامة المهمة التي أخذتها على عاتقي ولا أدري حتى الآن كيف كانت ستكون نتيجتها! إذ إن صاحب المتجر الذي كنت أعمل لديه هبّ لإنقاذي (؟؟) فهددني بالفصل من عملي ما لم أتراجع عن إلقاء تلك المحاضرة وتراجعت فعلاً. ولا أشك اليوم أن صاحب المتجر كان جاهلاً بتعاليم الإسلام ولم أكن بالطبع أفضل منه، ولا أدري ماذا كان سيكون موقفي لو أنني وقتئذ كنت مستوعباً التوجيه الإلهي التالي:

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(١)(٢).

وهكذا بفضل (؟) أخي الجبان أجهضت محاضرتي الأولى للمنصرين وتلاميذ التنصير، تلك المحاضرة التي خططت لها بدأب واجتهاد كبيرين وحفظتها وكررتها لنفسي مراراً، ولعل ذلك أدى بي إلى نكسة لا تقل عن عشر سنوات في مجرى حياتي المتعلق بالخطابة العامة، ولا شك أنه يوجد الملايين من بين المسلمين من أمثال صاحب المتجر المذكور ممن يصابون بالذعر بسبب الاعتبارات المادية المذكورة في الآية أعلاه فهم لا يكتفون بالإحجام عن إيصال رسالة وإنما يمنعون غيرهم أيضاً من ذلك، رغم أنك تراهم في منتهى التقى والصلاح ولكن دون جدوى.. إذ وصفهم الله تعالى في الآية المذكورة بأنهم من القوم الفاسقين.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤ .

(٢) أ- اطلب شريط الفيديو من المركز بعوان «الدعوة أو الدمار» Da,wah or Destruction.

ب- احفظ الآية غيباً واستوعب معناها وبإذن الله سوف تتمتع بالرد الصحيح عل كل تحدّ في كل وقت مناسب.

ج- اطلب سجل أشرطة الفيديو من المركز مجاناً.

يجب مواجهة التحدي

في الخطاب الذي ذكرنا لفت مولانا عبد العليم صدّيقي الأنظار إلى حث القرآن على التفكير والبحث في مجالات علوم الحياة والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والمناخ. إلخ.. وقد لاحظنا أن بعض العلماء من أمثال موريس بوكاي Maurice Bucaille وكيث مور Keith Moore والشيخ زنداني قد كتبوا مؤخراً عن بعض النواحي العلمية في القرآن، غير أن المجال كبير جداً وبلا حدود فالقرآن هو بحر المعرفة، وفي عصر التخصص الحالي على علماء المسلمين أن يواجهوا التحدي كل في اختصاصه، وأن يكون شباب المسلمين تواقين إلى العلوم والتعلم والأبحاث.

ولا أظن أني بحاجة للاعتذار لعدم الإسهاب في هذا الموضوع أكثر من ذلك إذ أتركه لأصحاب الاختصاص من العلماء المسلمين وحتى غير المسلمين للبحث في أعماق الحكمة التي تضمنها القرآن. ولكني كرجل عادي سوف أشترك معكم في عرض نواحي الإعجاز القرآني التي يبدو لي من الحقائق العادية البسيطة.

oberkanal.com

الفصل الثالث

القرآن: الفريد في توثيقه إطلاقاً

يعتبر القرآن الكريم فريداً من بين كل الكتب الدينية الباقية في العالم، كان تسجيله وحفظه إلى اليوم معجزاً! وهو يبرز مميزاً من بين كل الكتابات البشرية التي نعرفها، أما قصار النظر والأعداء فيقولون إنه غير متماسك ومتناقض. لا شك أن النمط مختلف عما اعتادوا عليه إذ هو فريد ومعجز وسوف أبرهن ما أعني بذلك.

الأسلوب البشري

نلاحظ أن أي كتاب ديني آخر قد بني على نمط (حدث في قديم الزمان) أو (الثعلب والعنب.. الذئب والنعاج.. إلخ) فمثلاً:

١- أ) (في البدء -في قديم الزمان- خلق الله السماء [١] والأرض) (سفر التكوين ١/ ١).

ب) في البدء -في قديم الزمان- كانت الكلمة والكلمة كانت عند الله وكانت الكلمة الله)[٢] (يوحنا ١/ ١).

ج) (هذه -البداية- سلسلة النسب لعيسى المسيح ابن داوود ابن إبراهيم).

٢- (والآن بعد موت موسى عبد الله، فقد حدث -مرة في قديم الزمان- أن الله كلم يشوع..) (سفر يشوع ١/ ١).

---

(١) يلاحظ أن النص الأول في الكتاب المقدس قد ذكر السماء والأرض بصيغة المفرد في حين أن القرآن الكريم يذكر الأرض بصيغة المفرد ويذكر السماوات بصيغة الجمع، وهذا أمر يستحق التفكير!

١-أ) لقد استدرك المترجمون ذلك في الترجمة العربية للكتاب المقدس الصادرة عن (جمعيات الكتاب المقدس المتحدة) حيث حرصوا على ذكر كلمة «السماوات» مكان كلمة «السماء» التي في الأصل (المترجم)!

(٢) لم يكن في أصل الكتابات اليونانية للعهد الجديد، حروف كبيرة وحروف صغيرة، وإنما ابتدع ذلك كتبة النصارى كي تلائم أهواءهم في ترجمة الكتاب المقدس مثلاً: God - god.

٣- (والآن بعد موت يوشع فقد حدث «مرة في قديم الزمان» أن بني إسرائيل طلبوا من الله..) (سفر القضاة ١/ ١)[١].

٤- (والآن فقد حدث «مرة في قديم الزمان» في أيام حكم القضاة أن حدثت مجاعة في الأرض..) (سفر راعوث ١/ ١)[٢].

٥- (والآن كان يوجد رجل «مرة في قديم الزمان» من رامتايمصوفيهم من جبل أفرايم..). (صموئيل الأول ١/ ١)[٣].

٦- (والآن فقد حدث «مرة في قديم الزمان» بعد موت شاؤول..) (صموئيل الثاني ١/ ١).

٧- (والآن «مرة في قديم الزمان» شاخ الملك داوود «صار يبرد» وهرمته السنين فدثروه بالثياب لكنه لم يدفأ). (الملوك الأول ١/ ١)[٤].

٨- (والآن «مرة في قديم الزمان» في السنة الأولى من حكم قورش ملك فارس..). (عزرا ١/ ١)[٥].

---

(١) إن محرري الطبعة المعتمدة المنقحة (RSV) للكتاب المقدس يدعمهم ٣٢ من أكابر علمائهم يمثلون خمسين طائفة نصرانية متعاونة مع بعضها البعض أصدروا حكمهم (بأن مؤلف سفر القضاة ليس الله ولكن يحتمل أنه صموئيل).

(٢) كما في أعلاه فقد أصدروا حكمهم بأن (المؤلف غير معروف)، وحتماً ليس الله، وقد يكون صموئيل!

(٣) من الغريب أن منقحي الكتاب المقدس، الطبعة المعتمدة المنقحة، الذين نسبوا احتمال تأليف سفر القضاة إلى صموئيل، واحتمال تأليف سفر راعوث إلى صموئيل أيضاً، عندما بحثوا سفر صموئيل نفسه وجدوا أن (المؤلف غير معروف).

(٤) كما في أعلاه الملاحظة رقم ٢ أصدروا حكمهم بأن (المؤلف غير معروف).

(٥) أيضاً يعترفون دون حرج (قد يكون كتبه أو حرره عزرا)، لمزيد من التفاصيل اطلب كتاب (هل الكتاب المقدس كلام الله؟) من المركز.

٩- (والآن حدث «مرة في قديم الزمان» أيام أحشروش..) (أستيرا ١/ ١).

١٠- وقد حدث «مرة في قديم الزمان» في سنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من الشهر..) (حزقيال ١/ ١)[١].

ولعل في هذه الأمثلة ما فيه الكفاية لإعطاء القارئ فكرة عن أسلوب الكتابة القصصي الطاغي على الكتاب المقدس، ولا نلومهم لأن هذا أسلوبهم البشري في الكتابة.

إن جميع النصوص أعلاه هي من طبعة الملك جيمس المجازة المسماة (KJV) اختصاراً، وهي أكثر طبعات الكتاب المقدس شيوعاً في العالم. ولا بد أن القارئ لاحظ أن كل النصوص التي اخترتها هي (١/ ١) أي الجملة الأولى من الفصل الأول من ذلك السفر وهي جميعاً تبدأ بكلمة: الآن، الآن، الآن.. وليجرب القارئ بنفسه ليحصي عدد الفصول التي تبدأ بكلمةالآن في كتاب الكتب[٢]، ولكن عليّ أن أنبهكم بأن الفهارس لن تفيدكم بل عليكم تصفح الكتاب المقدس صفحة صفحة كما فعلت شخصياً.

الفهارس لن تفيد

لقد قارنت فهرسين للكتاب المقدس طبع أحدهما من قبل «شهود يهوه» وهم أكثر طائفة نصرانية نمواً في العالم النصراني، والثاني يسمى الفهرس التحليلي للكتاب المقدس Youngs Analytical Concordance of the Bible. وكل منهما يحتوي على

---

(١) عبارة (مرة في قديم الزمان) بين قوسين ليست في الأصل وإنما أضيفت لإبراز الأسلوب البشري القصصي في الكتاب المقدس.

(٢) «كتاب الكتب» «هو أحد ألقاب الكتاب المقدس.

أكثر من ٣٠٠٠٠٠ عبارة أو كلمة، وجدت في الثاني منهما ما لا يقل عن ٢٧٧ كلمة «الآن» مدرجة فيه، أما الأول فلم أجد فيه كلمة «الآن» واحدة (حدث مرة في قديم الزمان) مثل الأمثلة التي ذكرتها أعلاه ولعل القارئ يستطيع تخمين السبب![1].

ولا أريد أن أثقل على القارئ كثيراً، وخاصة القراء الذين ينتطرون الحديث عن إعجاز الوحي القرآني.

في ليلة السابع والعشرين من رمضان كان النبي ﷺ في غار حراء بضواحي مكة، حيث كان من عادته الركون منفرداً إلى جبل حراء لينشد الهدوء والسلام والتأمل، كان قلقاً على قومه فهم غالباً في حالة العربدة وعبادة الأوثان والحروب القبلية والظلم والقسوة، كانوا على حالة من التردي حتى قال عنهم المؤرخ الكبير جيبون Gibbon في كتابه (انحطاط وسقوط الامبراطورية الرومانية):

إنهم كانوا بهائم تكاد تخلو من الإحساس، على شكل بشر، ويصعب تمييزها عن جنس الحيوان. وكان محمد ﷺ يتطلع متحرقاً إلى حلٍّ لهذا الوضع المزري، فكان يلجأ غالباً إلى غار حراء متأملاً بمفرده، وأحياناً برفقة زوجته أم المؤمنين خديجة.

الدعوة الأولى

وفي احدى الليالي، في منتصف ليلة القدر، حيث كان السلام الرباني مهيمناً على الخليقة نزل كتاب الله عز وجل على النفس المتعطشة، إذ ظهر جبريل -عليه السلام- لمحمد ﷺ وأمره بلسان عربي مبين (اقرأ)، فتملكه الذعر وهول المفاجأة وأجاب خائفاً مرتعشاً (ما أنا بقارئ)، فكرر جبريل عليه الأمر ثانية ليتلقى نفس الجواب ثم أمسكه جبريل وهزه وأمره في المرة الثالثة:

---

(١) لأن مثل هذا الأسلوب القصصي للأطفال لا يليق بكتاب مقدس حتى بمقاييسهم ولذلك فقد حذفوه.

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾.

وحينئذ أدرك محمد ﷺ أن المطلوب منه هو ترديد ما قاله جبريل فامتثل لذلك، حتى وصل جبريل في قراءته إلى الآية الخامسة من سورة العلق ومحمد يتلو بعده.

أتخيل القارئ غير المسلم يقول لي الآن: «كفاك يا سيد ديدات»، إن هذه القصة لا تختلف كثيراً عن مثيلاتها التي أوردتها من الكتاب المقدس لكي تبرهن أنها من كتابة البشر وليس الوحي.

وهذا بالضبط ما أعنيه، إنّ هذه القصة ليست قرآناً ولا وحياً، وإنما هي من التاريخ المسجل، هي من كتابة البشر، تروي كيفية نزول الوحي أول مرة على محمد ﷺ، أما القرآن نفسه فلا يوجد فيه كتابة بشرية أو لمسة بشرية أو تحوير أو تعديل أو تنقيح أو تدخل بشري أو لجان تنقيح، إنه كلام الله المنزل المحفوظ بحذافيره منذ نزول الوحي على النبي ﷺ، وأول ما نزل منه الآيات الخمسة الأولى من سورة العلق:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1].

كتاب فريد

إنّ كل نص قرآني سواء باللسان العربي كما نزل، أو بأي لغة ترجم إليها هو على هذا النحو، لا يوجد فيه (لو) و(لكن)، فلن تجد في النص القرآني «أن محمداً ﷺ كان في الأربعين من عمره عند نزول الوحي أو أنه كان في غار حراء وقتها أو أن جبريل نزل عليه في الغار أو أنه أصيب بالذعر وكيف كان تجاوبه مع الملاك عندما أمره بكلمة

(١) سورة القلم، الآيات: ١-٥ .

(اقرأ) وأنه بعد رحيل الملاك ركض مسرعاً مسافة ثلاثة أميال جنوباً إلى بيته في مكة، إلى زوجته الحبيبة خديجة، وطلب منها أن تدثّره»، كل ذلك مما أشرت إليه سابقاً على أنه من قصص (حدث مرة في قديم الزمان)، فالقرآن الكريم لا يذكر أياً من ذلك فهو الفريد إطلاقاً في نصوصه وحفظه، وباختصار فهو معجز.

أضف إلى ذلك أن القرآن ليس على غرار ما نرى من الأدبيات الإنسانية حيث يبدأ كل شيء في البداية، إذ الكلمة الأولى والآية الأولى والسورة الأولى من الوحي ليست هي بداية القرآن، فسورة العلق هي السورة رقم ٩٦ في القرآن الكريم لأن ترتيب القرآن توقيفي تمّ أيضاً بوحي من الله تعالى، ولذلك فإنه لا يوجد ما يماثل القرآن من الكتب الدينية سواء في نمطه وأسلوبه، والسبب ببساطة أن أي وحي سابق لم يحتفظ بأصالته ونقائه الأول كما نزل!

المحلل النفسي الكندي

سعدت مرة بفرصة مشاركة أفكاري عن نزول الوحي الأول من سورة العلق مع رجل شاب من كندا، وكنت أصحبه كدليل في جولة على أكبر المساجد في نصف الكرة الجنوبي، وأثناء تبادل الحديث سألته عن مهنته فأجابني أنه يقوم بدراسات عليا في علم النفس، فلفت نظره على الفور إلى الآيات الخمسة الأولى من سورة العلق، وسألته كيف يمكنه تفسير أن محمداً كان يتلو من الآيات ويتكلم ويتعلم عن أمور لم تكن أصلاً في نطاق تفكيره أو إدراكه أو عقله الباطن، كما لو كان يتكلم من صفحة بيضاء، كما أن تلك الأمور لم تكن واردة كمعضلة بالنسبة له أو لقومه! وقلت له الرجاء تفسير ذلك فأجاب: لا أستطيع مع أنه سبق لي التفكير في الموضوع، فقلت له في هذه الحالة يجب أن نقبل الرجل حسب كلامه ثم قرأت له قوله تعالى:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ

﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ﴾[1].

وأن محمداً ﷺ كرر أكثر من مرة قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ .. ﴾[2].

فأجابني الشاب الكندي بتهذيب: عليّ أن أفكر جدياً في هذا الموضوع.

ولو كنا على دراية كافية بالحقائق التي جاء بها القرآن لاستطعنا أن نفتح الحديث مع أي اختصاصي في العلوم.

معجزة أم صحافة

لكونه خلية من النشاط يجتذب المركز الإسلامي العالمي للدعوة، في دوربان بجنوب أفريقيا، الكثير من الناس يأتون للحوار والنقاش بما في ذلك الصحفيين، وفي كل مرة أقابل صحفياً من الزوار أقول له إني أود أن أريك القرآن الكريم «كمعجزة صحفية» ولم يسبق أن رفض أحد الاستماع، وعادة ما أبدأ بقصة النبي موسى -عليه السلام- على نمط (حدث في قديم الزمان)، لا يسعني غير ذلك، ولقصر الوقت لا أستطيع الدخول في تفاصيل قصته: طفولته، والدته، وأخته (سورة طه ٣٨-٤٠) و(سورة القصص ٧-١٣)، يجب أن أترك التفاصيل وأبدأ بقصته عندما دخل المدينة:

الحادث المؤسف في المدينة

التقى موسى -عليه السلام- برجلين يقتتلان، أحدهما من شيعته والآخر من عدوه، فاستنصره اليهودي ضد المصري فوكز المصري وكزة شديدة قضت عليه.

---

(١) سورة النجم، الآيات: ١-٥ .

(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠ .

ثم إن موسى -عليه السلام- هرب من مصر تلقاء مدين شرق سيناء ليجد نفسه وسط المدْيَنيين حيث صادف أن ساعد فتاتين كانتا تجدان مشقة في السقاية فعرض أبوهما شعيب عليه عملاً على أن ينكحه إحدى بناته، ولما أنهى موسى -عليه السلام- عقده بعد ثماني سنين من العمل أصابه الملل من تلك المنطقة الريفية البسيطة وهو الذي اعتاد حياة الترف وسط المدينة الصاخبة، فاستأذن عمه شعيباً في الرحيل والاستقلال بأهله، وكان شعيب رجلاً عملياً ومنطقياً فأذن له.

موسى يشق طريقه

غادر موسى -عليه السلام- ومعه زوجته وأولاده آخذاً معه حصته من المواشي التي كان يعمل في رعيها لصالح عمه شعيب.

وبعد فترة من الترحال مع عائلته في سيناء وجد نفسه تائهاً بعد أن ترك آخر منطقة آهلة ونفذت مؤونته من اللحم المطهو المجفف، لم يزل معه شيء من الخبز (ماتزوس) الفطير اليهودي ولكن المشكلة في اللحم، أراد أن يذبح إحدى مواشيه ولم يكن ذلك بالأمر السهل فمن أين له إشعال النار لطهوها، كان سيحتاج إلى مجهود نصف يوم وهو يحك مادتين مختلفتين لإشعال النار، الوسيلة الوحيدة المتاحة في تلك الأيام، فصار يماطل ويؤجل الموضوع يوماً بعد آخر لعله يجد حلاً لمشكلة اللحم.. «أين الإعجاز يا سيد ديدات؟» يأتيني السؤال بعد كل هذا الشرح.

حتى الآن لم أقدم سوى خلفية القصة. ولكن المعجزة هو تكثيف كل ما سبق مع تتمة القصة في أربعة آيات محكمات، أربعة آيات قصيرة من أجمل النثر، ولكن لكي تقدروا هذا العمل الفذ يجب أن ألفت نظركم مسبقاً لتفاصيل القصة كي تلاحظوا ما أعتبره شخصياً قمة الصحافة بل أوجها.

اعلانات الصحف

إنني أقطن على مسافة حوالي ٣٠ كيلومتر من مدينة دوربان حيث توجد مكاتبي، وقبل إنشاء الطريق السريع الذي يصلنا مع دوربان كنت أسوق نحو دوربان على الطريق الساحلي الذي يمر أمام المدرج الرياضي وعند التقاطع كنت ألاحظ يومياً بائع الصحف يلوح بصحيفة الصباح المسماة The Natal Mercury. وكان أمامه لوحة يضع عليها العناوين الرئيسية لجذب الزبائن، وفي كل مرة كنت أقرأ فيها اللوحة أقرر أن لا أشتري الجريدة ذلك اليوم، ولكن بعد وصولي إلى دوربان وترك السيارة في الموقف كنت أمر في الطريق أمام بائعي الصحف ثانية فأشتري الصحيفة ذاتها على أية حال.

وبعد عدة مرات من حصول ذلك بدأت أتساءل عن السبب الذي من أجله كنت أغير رأيي، فاكتشفت أن لوحات الإعلان التي يعرضها البائعون كانت مختلفة، إذ اللوحة على الشاطئ كانت موجهة لجذب القراء الأوروبيين في حين أن اللوحات الأخرى في المنطقة التي أمر بها كانت موجهة إلى القراء من المجتمع الآسيوي، ولا شك أيضاً أن اللوحات في مناطق الأفارقة والملونين كانت معدة بشكل جذاب لهم بشكل خاص في حين أن الصحيفة هي نفسها لم تتغير في كل المناطق.

أي أن الصحفي الممتاز هو الذي بإمكانه تصميم لوحة إعلان تجذب يومياً الناس من جميع العناصر العرقية الأربعة في البلاد[١].

تلك هي الصحافة الممتازة، ولابد أن الصحفيين يقرون بهذا الرأي، لنحلل القرآن على هذا الأساس.

---

(١) تحت النظام العنصري كانت الطوائف العرقية الأربعة تعيش منعزلة عن بعضها البعض.

جذب الجميع

كان محمد ﷺ في المدينة محاطاً باليهود والنصارى والمسلمين والمشركين والمنافقين، وكان عليه أن ينشر دعوته بين كل هؤلاء الناس، فماذا كان عليه أن يكتب على لوحته الإعلانية كي يجذب انتباه الجميع؟ نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾[1].

لا شك أن ذلك يثير شوق اليهود والنصارى للاستماع ومعرفة المزيد، على أمل أن يظهر ذلك جهل محمد ﷺ وادعائه حسب زعمهم، لأن تفكيرهم يقودهم إلى التساؤل التالي: ماذا يمكن لهذا الأعرابي الأمي أن يعرف عن موسى -عليه السلام-؟ وفي نفس الوقت المسلمون متعطشون للمعرفة الحقيقية، أما المشركون والمنافقون فكلهم آذان إذ ينتظرون بفارغ الصبر الاستماع إلى النقاش المترقب بين المسلمين والنصارى واليهود عن موسى -عليه السلام- ويستمر الوحي على لسان محمد ﷺ:

﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾[2].

انظر تمثيل وتجسيد الحدث بهذا الشكل الدرامي الموجز، إنه يتكلم كما لو كان يبعث ببرقية، لقد احتاج الأمر إلى ألفي سنة بعد المسيح -عليه السلام- لكي تصل أقوى أمة نصرانية ويهودية في هذا العصر (الولايات المتحدة)[3] إلى أعلى مستويات الإبداع الصحفي والإعلاني، ولكي تطور شعار «لا تكتب- بل أبرق» حسب كلمات

---

(١) سورة طه، الآية: ٩ .

(٢) سورة طه، الآية: ١٠ .

(٣) إن الولايات المتحدة هي أقوى أمة نصرانية إذ يبلغ عدد سكانها من النصارى ٢٥٠ مليون، كما أنها أقوى أمة يهودية حيث يزيد عدد اليهود فيها عن عدد اليهود الذين في إسرائيل أو الذين في أي بلد آخر.

شركة البرق الغربية المتحدة Western Union، فمن الذي علم محمداً ﷺ ومن أي مدرسة أو كلية للصحافة تخرج حتى سيطر على هذا الفن؟

إملاء الاختنزال

الرجاء مقارنة النص السابق مع أي ترجمة للقرآن الكريم من قبل صديق أو عدو، وسوف تلاحظ نفس الإيجاز في المعاني والاختصار في الكلام، كانت كلمات الوحي تنزل على قلب محمد ﷺ من جبريل الروح الأمين -عليه السلام- بلسان عربي مبين، ويجب أن نتذكر أن الكتاب المقدس (العهدين القديم والجديد) لم يكن له وجود باللغة العربية أيام البعثة النبوية.

الرجاء أيضاً أن تقدم لنفسك خدمة. قارن الوحي القرآني السابق مع القصة الواردة في سفر الخروج من الكتاب المقدس بالفصول ١-٢-٣ التي تشمل نفس الفترة المشار لها من حياة موسى -عليه السلام-، وسوف أسرد فيما يلي البداية منها فقط:

(الآن هذه أسماء بنو إسرائيل الذين دخلوا مصر، جاء مع يعقوب كل رجل وعائلته، روبين، شمعون، لاوي، يهوذا، يساكر، زبولون، بنيامين، دان، نفتالي، جاد، وآشر، كل النفوس التي خرجت من صلب يعقوب بلغت سبعين نفساً، لأن يوسف كان من قبل في مصر) (سفر الخروج ١/ ١-٥).

إعداد موسى

هل يعقل أن يكون ذلك كلام الله؟ الرجاء مقارنة هذه النصوص الخمسة من سفر الخروج مع الآيات القرآنية الأربعة ٩-١٢ من سورة طه.

لنتابع ثانية القصة القرآنية، كان موسى -عليه السلام- وهو تائه في الصحراء مع عائلته وغنمه، بحاجة إلى شيئين. كان بحاجة إلى النار ليطبخ طعامه، وبحاجة إلى

الاهتداء لكي يعرف طريقه إلى أي تجمع سكاني مناسب في الصحراء، كل ذلك كان يجري وفقاً للخطة الإلهية إذ كان يتم إعداد موسى -عليه السلام- لمهمته العظيمة، من وهم نار الخشب المشتعل إلى حقيقة النار الروحية المشتعلة في نفوس ألوف البشر، ومن وهم الاهتداء إلى الطريق إلى حقيقة الهداية الربانية للبشرية.

لم تكن النار التي شاهدها موسى -عليه السلام- ناراً عادية، فقد كان يظنها شعلة مناسبة لناره التي يبغيها للطبخ كما أنها دليل على وجود أناس آخرين بإمكانهم أن يرشدوه على الطريق.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[1].

هنا يبدأ التاريخ الروحي أو الميلاد الروحي لموسى -عليه السلام- وبلغة الكتاب المقدس (أنا ولدتك هذا اليوم) (سفر المزامير ٢/ ٧).

إن النصوص القرآنية في الآيات الوجيزة المتناغمة المشار لها أعلاه مفعمة بأسمى المعاني الروحية، حيث المعاني والاتساق كلاهما يعبران عن الروحانية السامية، لنقرأ النصوص متكاملة مع بعضها البعض ثانية:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾[2].

---

(١) سورة طه، الآيات: ١١-١٢ .

(٢) سورة طه، الآيات: ٩-١٢ .

(طوى) هو الوادي تحت جبل سيناء حيث أوحيت الشريعة فيما بعد إلى موسى – عليه السلام– والمعنى الروحاني لذلك أن البشر يغربلون بالاختبار والفتنة في هذه الحياة الدنيا ذات الوادي الذي لا يقل قدسية عن أعالي طور سيناء من حيث إنه يتلقى الوحي الالهي، فقط لو كان لدينا ثاقب النظر لاستيعابه، كان على موسى –عليه السلام– أن يخلع نعليه كبادرة احترام وإجلال، وفي المعنى الروحاني كان عليه أن ينحّي همومه الدنيوية جانباً وبالذات الهموم الدنيوية الصرفة إذ تم اختياره من قبل الذات الإلهية.

ما هو قراركم

كيف يمكن لإنسان تمرس على الفلكلور والأساطير أن يقيّم مثل هذا الإكسير من السماء؟ حتى توماس كارلايل الناقد المتعاطف وأحد كبار مفكري القرن السابق لم يستطع أن يسبر غور الوضوح والإيجاز القاطع، فقال عن نصوص القرآن:

«إنه خليط من الخام المتعب المشوش المفكك، حماقة لا تطاق».

حماقة لا تطاق؟ بعد مقارنة النصوص القرآنية ونصوص الكتاب المقدس كيف يكون حكم المرء؟ لم أقابل حتى اليوم صحفياً واحداً لم تبهره عبقرية محمد ﷺ في إملاء الحقيقة (الوحي) بدون أي محاولة من جانبه لتحليله أو تفسيره، إنه ليس أقل من معجزة! فهل توافقون؟

الفصل الرابع

كتاب الإيجاز المعجز

يمكن وصف القرآن الكريم لجهة إيجازه بأنه «كتاب البرقيات»، هكذا نزل الوحي استجابة لمشاكل الناس ومعضلاتهم:

الخمر والميسر

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

القرآن والحديث

إن النصوص أعلاه هي كلام الله تعالى وليست كلام الرسول -عليه السلام- فهل يمكن إقناع أي باحث عن الحقيقة بطريقة أبسط من ذلك؟ والله تعالى يقول:

﴿ .. قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ .. ﴾[2].

نستطيع الآن أن نقارن كلام الله تعالى عن موضوع المسكرات مع كلام النبي المصطفى -عليه السلام- عن نفس الموضوع مع الإبقاء في الأذهان أن كليهما نطق بهما الرسول -عليه السلام- ولكن الأول مصدره الوحي الإلهي والثاني وهو الحديث الشريف للرسول إنما هو كلام البشر كما نقله الصحابة:

عن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ لعن كلّ من له علاقة بالخمرة بأي وسيلة سواء إنتاجها أو شربها قال:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٩ .

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٦ .

«لعن الله شارب الخمرة وعاصرها ومعتصرها وبائعها وحاملها والمحمولة إليه». أو كما قال، وعنه -عليه السلام- أيضاً أنه قال: «ما أسكر قليله فكثيره حرام».

لا عذر في دار الإسلام لقليل أو كثير من الخمرة، وذلك خلافاً لما قيل من نصيحة بولس إلى تيموثي:

(لا تشرب ماء بعد الآن ولكن خمراً قليلاً لأجل معدتك ولأجل أسقامك الكثيرة) (رسالة بولس الأولى إلى تيموثي ٥/ ٢٣).

وخلافاً أيضاً لما زعموا من نصيحة سليمان الطريفة لاستعباد الشعوب المقهورة:

(أعطوا مسكراً لموشك على الهلاك، وخمراً لذوي القلوب اللاذعة، ليشرب الفقير وينسى فقره ولا يتذكر تعاسته بعدها) (سفر الأمثال ٣١/ ٦-٧)[١].

ولكي نعود إلى الموضوع نقارن بين حديث النبي ﷺ عن الخمرة وبين الوحي القرآني عن ذلك من ناحية الأسلوب والصيغة والسمو فالفرق بينهما شاسع وقد خرجتا من نفس الشفتين!

ظهور الهلال

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ..﴾[٢].

«كانت هنالك خرافات كثيرة عن ظهور الهلال كما هي الحال حتى يومنا هذا لدى البعض، ولذا فقد أمرنا أن نهمل تلك الخرافات. ولكن كمعيار للوقت يستخدم

---

(١) هذه العبارة أعيدت صياغتها في طبعة الكتاب المقدس الذي أسموه «الكتاب الحي Living Bible «وصارت على النحو التالي«: الخمرة القوية هي للمرضى الذين يحتضرون، والنبيذ هو للغارقين في الاكتئاب الشديد».

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٩ .

التقويم القمري في تحديد مواقيت بعض العبادات بالنسبة للمسلمين كالحج مثلاً».
(عبد الله يوسف علي، في ترجمة معاني القران الكريم).

الصدقات

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾(١)(٢).

السؤال هنا يتضمن ثلاث نقاط:

أ- ماذا ننفق؟

ب- لمن ننفق؟

ج- كيف ننفق؟

ماذا ننفق؟

والجواب هو إنفاق الخير، وهو الشيء المفيد ذو القيمة الذي يساعد الآخرين، قد يكون نقوداً أو بضاعة أو مساعدة بالجهد أو بالنصيحة أو بالكلمة الطيبة، أما إنفاق الشيء عديم الفائدة أو الخبيث كالمسكر أو المخدر أو الرشوة فذلك ليس بصدقة وإنما لعنة.

لمن ننفق؟

قد يكون الإنفاق لجهة معينة مغرياً طمعاً في الشهرة والثناء الدنيوي من البعض، مع أن هنالك من هم أحق بالنفقة (الذين تحددهم الآية) وفي هذا سلب لحقوق المحتاجين وليس صدقة، فالصدقة تقاس بمقدار بعدها عن أنانية صاحبها وأحقية المستفيد منها.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٥ .

obeikandl.com

كيف ننفق؟

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ لأن الادعاد والتظاهر لا يجب أن يرافق الإنفاق إذ يكفي أن الله به عليم.

الروح

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1].

من الواضح أن قراءة القرآن ليست كقراءة أي كتاب آخر في العالم، فهو كلام مباشر يؤدي الفائدة دون حواشي أو مراوغة، ولا يمكن أن تجد في القرآن كله موضوعاً واحداً تستطيع أن تستخلص منه فيلماً سينمائياً كفيلم «الوصايا العشر» أو «سشمشون ودليلة» وغيره كما هي الحال في قصص الكتاب المقدس التي تعتبر بهجة ثمينة للمنتجين!

ابحث في القرآن كما تشاء فلن تجد فيه أسماء والد محمد ﷺ أو والدته، أو أي من زوجاته أو أسماء بناته أو أسماء صحابته المقربين وغير المقربين، غير أنك سوف تجد سورة كاملة منه تسمى سورة مريم -عليها السلام-.

ورد ذكر اسم عيسى المسيح -عليه السلام- في القرآن الكريم ستة وعشرين مرة في حين أن محمداً ﷺ ورد اسمه خمس مرات فقط! وليس السبب أن عيسى المسيح ووالدته مريم -عليهما السلام- كانا أهم من محمد ﷺ، بل لأن سمعة المسيح ووالدته مريم -عليهما السلام- كانت في خطر فاليهود كانوا يشهرون بهما، كانت هنالك اتهامات باطلة وتلميحات وغمز، فلزم تصحيح ذلك ووضع الأمور في نصابها، ولزم تسجيل قصة

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥ .

إعلان الملاك إلى مريم، والحمل العذري والولادة المعجزة للمسيح -عليه السلام- أما السلالة المحمدية فلم تكن موضع شك ولم يكن هنالك داع للتطرق إليها، فالقرآن ليس كتاباً عن حياة محمد ﷺ وهذا مما يصعب فهمه على الكثيرين من غير المؤمنين.

الساعة

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾(١).

من المفيد مقارنة هذه الآية الواحدة مع الفصل ١٣ من سفر مرقس الذي يستغرق ٣٧ نصاً لكي يصل إلى النتيجة ذاتها، اختبار مفيد لمعرفة الفرق بين كلام الله وكتابة البشر.

وهنالك أمثلة كثيرة أخرى من القرآن تبين الفرق واضحاً بين كلام الله وكلام البشر، أختمها بسورة الإخلاص:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾(٢).

وفي ترجمة معاني القرآن الكريم لعبد الله يوسف علي شرح مفصل لهذه الآيات في ملاحظاته ذات الأرقام ٦٢٩٦ - ٦٣٠٠ .

الاختبار الصحيح في الدين

في حديث شريف عن النبي ﷺ أن من قرأ سورة الإخلاص ثلاث مرات كانت له

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧ .

(٢) سورة الإخلاص، الآيات: ١-٤ .

في الأجر كقراءة القرآن، فما الذي يجعل قراءة هذه السورة القصيرة على هذا المقام من الرفعة؟ طبعاً ليس النغم أو الترتيل الذي يحرك المشاعر فتنهمر الدموع، إنها الرسالة، الاختبار الحقيقي للدين الذي يعطيها تلك المنزلة السامية.

لا يوجد مفهوم لله تعالى أو علم لاهوتي إلا ويخرج من صلب هذه الآيات الأربعة الوجيزة. إنها ركن المعرفة الإلهية فبها يقبل المرء أو يرفض فكرة الإله، وبها يعرف الحق من الباطل، وهي تشبه حجر المحك الذي يستخدمه الصّياغ لاختبار الذهب، فكيف يكون ذلك؟

من الكومبيوتر الرئيسي

في منتصف عام ١٩٧٥ قام بعضهم بعمل الترتيبات كي أزور زامبيا لإلقاء بعض المحاضرات، وأبلغت هاتفياً من لوساكا بأن عليّ استلام تذكرة الطائرة من إدارة الخطوط الجوية لجنوب أفريقيا في دوربان فلما ذهبت إلى هناك وسألت موظف الاستعلامات أشار إلى مجموعة من الموظفات الجالسات وراء أجهزة الكومبيوتر وقال لي بجفاء: اسأل إحداهن.

كنت وقتها أتوقع الحصول على كتيب طويل من أوراق التذاكر الصادرة من زامبيا كما هي العادة، ولما كان الزمن وقتئذ حديث العهد بالكومبيوتر ولجهلي به كنت أتساءل ما علاقة موظفات الكومبيوتر بالأمر؟ وكنت أظن الرجل على خطأ، وقد ترددت قبل أن أسأل إحداهن عن ذلك وذكرت لها اسمي وموضع رحلتي ولدهشتي فقد استجابت وأخذت تدخل المعلومات على الجهاز ثم قالت نعم، وسألتني عن مواعيد السفر التي أرغبها وخط الرحلة وفي النهاية بعد أن أخذت المعلومات من الجهاز اعتذرت بأن حجزي مقرر على الخطوط الجوية الزامبية حصراً وأن علي الانتظار إلى الغد للحصول على التذكرة لأن مكاتبهم كانت مغلقة في ذلك اليوم

بسبب أحد أعيادهم، وقد أصبت وقتها بخيبة الأمل لأني كنت أتخيل أن التذكرة بحوزتها.

إزالة الجهل

وفي دهشتي سألت السيدة: من أين أتيت بكل هذه المعلومات؟ فقالت من الكومبيوتر الرئيسي في جوهانسبرج، ثم كانت من اللطف أن شرحت لي كيف أن جميع الأجهزة مرتبطة بالكومبيوتر الرئيسي بحيث أن أياً من الموظفين أو الموظفات على الجهاز يستطيع التعامل مع المركز الرئيسي مباشرة، فشكرتها بحرارة وتركت المبنى.

وفي طريق عودتي صارت الأفكار تجول في خاطري، كان الوحي يتنزل على النبي المصطفى -عليه السلام- من اللوح المحفوظ كما لو أنه الكومبيوتر الرئيسي.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[1].

إن اللوح المحفوظ ليس كألواح موسى -عليه السلام- التي كتبت عليها الوصايا العشر وليس كغيره من الألواح التي نعرفها في هذه الدنيا وليس كرقائق السيليكون التي هي عصب الكومبيوتر، فهي لا يمكن تصورها بأي شكل أو معنى مادي، إنه اللوح المحفوظ روحانياً والله أعلم.

نصارى نجران

عندما استقر الإسلام في المدينة وشاعت شهرة النبي المصطفى -عليه السلام- في جزيرة العرب، وصل الخبر إلى نصارى نجران بأن أحد العرب في الحجاز يدعي النبوة

---

(١) سورة البروج، الآيات: ٢١ - ٢٢ .

ونزول الوحي الإلهي عليه فقدم وفد من علمائهم إلى المدينة ليختبروه ويتحققوا من صحة رسالته، وقد استضافهم النبي ﷺ لدى وصولهم في المسجد النبوي وكان يومئذٍ مبنياً من الطين مسقوفاً بسعف النخل، فمكثوا بضيافته -عليه السلام- ثلاثة أيام وثلاث ليال تبادلوا خلالها الحوار والنقاش،و ويمكن الرجوع إلى تفاصيل ما جرى بينهم في كتب التاريخ.

وقد سئل النبي ﷺ خلال الحوار من قبل رئيس وفد نجران: أخبرنا يا محمد، ما مفهومك لله تعالى؟ فلم يجبهم محمد، حتى نزل عليه الوحي فتلا عليهم قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[1].

وبعد أن جرى هذا الوحي على لسان محمد ﷺ عادت المناقشة إلى ما كانت عليه، وما كان لأي عربي وقتها يستحق لقبه أن يفوته الفرق بين طبيعة الكلام في الحالتين، فالأولى كانت كلمات الله عز وجل، كلمات الوحي دون شك تنطق من خلال شفتي محمد، وبعدها عاد كلام البشر ينطقه محمد وشتان بين كلام الله وكلام البشر.

في جميع الكتب الدينية في العالم لا يوجد شيء يمكن مقارنته ولو من بعيد مع هذه السورة القصيرة، إنها خلاصة كلام الله وباقي القرآن تفسير لها، نعرف منها صفات الله ونتفادى المآزق التي طالما وقع فيها البشر والأمم في السابق وهم يحاولون فهم صفات الذات العليا.

---

[1] سورة الإخلاص، الآيات: ١-٤ .

الفصل الخامس

الله تعالى المنفرد بصفاته

إن الله تعالى هو الوحيد الفريد في شخصه والفريد في صفاته، لا يقارن معه شيء أو شخص نعرفه أو يمكن تصوره. وفي سورة الإخلاص تم تذكيرنا ليس فقط بأن ﴿الله أحد﴾ وإنما أيضاً ﴿لم يكن له كفواً أحد﴾، فكيف نعرف الله إذاً؟ إننا نعرفه من صفاته.

إن القرآن الكريم وهو الوحي الإلهي النهائي والأخير يعطينا تسعة وتسعين من صفات الله تعالى يطلق عليها أسماء الله الحسنى موزعة هنا وهناك في القرآن الكريم كقلادة الجوهرة الثمنية التي ثريّاها الكبرى اسم الله تعالى.

وها هنا مثال قرآني من تلك القلادة:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

الأسماء الحسنى

في الآيتين المذكورتين أعلاه نعد ثلاثة عشر من أصل التسعة وتسعين اسماً من أسماء الله الحسنى المنتشرة في القرآن الكريم. فحتى أشد خصوم وأعداء الإسلام سوف يقرون أن هذه الصفات، حتى في صيغتها المترجمة إلى لغات أجنبية، هي صفات فريدة ورائعة، أما في النص الأصلي العربي فإن الكلمات والصياغة هي من السمو بحيث يستحيل تقليدها.

---

(١) سورة الحشر، الآيات ٢٣-٢٤ .

كيف يمكن لرجل أمي في أمة أمية أن يخترع مثل هذه الملحمة قبل أربعة عشر قرناً؟ لم يكن حوله موسوعات أو أبحاث أو رسائل في صحراء الجزيرة العربية، فمن أين له هذا الكنز النفيس من الغيبيات؟ قال إنها من عند الله، وذلك هو التفسير الوحيد[1].

هل يستطيع أكابر المتعلمين ودكاترة اللاهوت اليوم أن يستحضروا لنا بعض صفات الله أو أسمائه الحسنى؟ قد يستطيعون ذكر عشرة أو اثني عشر وبالتأكيد ليس تسعة وتسعين، وهنا قد يتدخل أحد الماديين فيقول: ألا ترون أن محمداً كان عبقرياً حتى استطاع ذلك، والجواب أن العباقرة إذا استطاعوا ذلك فلن يضاهوا العبقرية والسمو المتضمنين في أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين، خاصة أن هذه الأسماء لم تشتمل على كلمة (الأب) الأب الذي في السماء.

عند محاولة التفكير في أسماء الله الحسنى لابد أنه سوف يتبادر إلى ذهن البعض كلمة (الأب)، ولكن من الإعجاز القرآني أنه تم استبعاد هذه الكلمة إطلاقاً مع أنها كانت تحوم حول محمد خلال الثلاثة والعشرين عاماً من بعثته خاصة أثناء نقاشه مع النصارى والوفود النصرانية، ومع ذلك فإن القرآن قد تفاداها وأبقاها خارج القاموس الإسلامي.

ويحق للمرء أن يسأل: وماذا إذاً عن الصلاة المسيحية لنقرأها:

(أبانا الذي في السماء، تقدس اسمك، فليأت ملكوتك، سوف يكون في الأرض كما في السماء).

---

(١) وقع قومه في حيرة، فاتهموه أنه شاعر ثم قالوا ما هذا بالشعر، ثم اتهموه بالجنون، ثم اتهموه بالكهانة، قال تعالى ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحاقة: ٤١، ٤٢]، وقال أيضاً ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٢٩، ٣٠].

وإذا سألت ما هو الخطأ في ذلك أقول لا شيء، إنها صلاة جميلة ولكن بها نقص. فإن ابني لن يتعلم اسم الله من خلالها! ما هو اسم الله؟ في السبعة والعشرين كتاباً كافة التي تشكل العهد الجديد النصراني لم يذكر اسم الله مرة واحدة! والبديل هو «الأب». مع أن الأب ليس اسماً لله، لا أمانع أن تذكر أي صفة من صفاته:الرب، الخالق، الإله.. ولكن «الأب المحب في السماء، يا أبانا الذي في السماء.. إلخ»، إن المسلمين يعترضون على المعنى الجديد الذي صارت تعنيه هذه الكلمة، كلمة «الأب»[1].

الابن المولود الوحيد

إن كلمة «الأب» البريئة قد اكتسبت في علم اللاهوت المسيحي معنى جديداً، فهو في مفهومهم الأب الذي أنجب الابن عيسى، وهم يقولون في كتب العقيدة Catechism الخاصة بهم أن «عيسى هو الله نفسه من الله نفسه، أنجبه الأب ولم يخلقه» Jesus is the very God of very God begotten of the Father begotten NOT made .

وإذا كانت الكلمات تحمل أي معنى فما معنى هذه العبارة؟ بالطبع إنها تعني ما تقوله! وحسب الكتاب المقدس فإن لله تعالى أبناء كثيرين: آدم، إسرائيل (يعقوب)، أفرايم، داوود، سليمان.. إلخ. ولكن هؤلاء كلهم أبناء بالمعنى المجازي، فالله تعالى كونه خالق الخلق جميعاً فهو الأب مجازاً لكل مخلوقاته، ولكن المسيحية تقول بأن عيسى مختلف عن الباقين كالاختلاف بين الإنجاب والخلق! وهذا بالنسبة للإسلام أبغض الكلام لأن معناه نسب الطبيعة الحيوانية، وظيفة الجنس، إلى الله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

---

(١) اطلب نسختك مجاناً من كتاب (ما هو اسمه؟ What is His Name) من المركز.

المعاني تتغير

في القديم لم تكن كلمة الأب تحمل في ثناياها معنى الكفر ولكن معاني بعض الكلمات تتغير مع الزمن، وسوف أدرج هنا مثالين فقط من ذلك وهما كلمتي: الرفيق Comrade، والمبتهج Gay:

كان لكلمة رفيق في الأصل معنى جميل وبريء، فهو الصديق والمشارك والمرافق، ولكن هذه الكلمة اليوم تثير الاشمئزار لدى الأمريكيين لأنها مرتبطة في تفكيرهم بمعنى الشيوعي الماركسي اللينيني، فلو دعاك أحدهم في أمريكا اليوم بالرفيق فقد يعرض عملك بل حياتك للخطر!

نأتي إلى كلمة: المبتهج التي شوهوا معناها باللغة الانكليزية Gay، ما هو الخطأ فيها؟ لاشيء فعندما كنت صغيراً تعلمت في المدرسة أنها تفيد المرح والسرور والبهجة والسعادة، ولم أكن وقتها أتخيل، مجرد تخيل، أنها في المستقبل سوف تكتسب عند الأمريكيين المعنى القذر البغيض وهو الشذوذ الجنسي.

وهكذا بصورة مماثلة تلوثت كلمة الأب المحترمة بمعتقد (الوحيد الذي أنجبه الأب The Only Begotten Son).

الرب أم الأب؟

لقد حمى الله تعالى الإسلام والمسلمين من استخدام كلمة الأب بمعنى الله، فهي ليست في قاموس الإسلام بهذا المعنى، ومن حقائق الإعجاز أن كلمة الرب قد وردت في القرآن الكريم عشرات المرات دون كلمة الأب التي لم ترد حتى مرة واحدة فقد أسيء استعمالها في المسيحية ولزم حماية الإسلام من الكفر الذي صارت تعنيه، فمن صاحب الفضل في هذا العمل العظيم؟ الله تعالى أم محمد ﷺ، لا شك أنه الوحي الإلهي.

الفصل السادس

حل المعضلة

لاشك أن القرآن الكريم يشكل معجزة ضخمة . فهو كتاب المعجزات التي يمكن تفصيلها من وجهات عديدة، وقد حاولت شخصياً إشراك القارئ في البعض البسيط من الوجهات التي افتتنت بها، غير أن البحث في هذا الموضوع لا ينتهي وأترك استكماله لإخواني الأكثر علماً مني، ولكن سوف أنهي البحث بهذا المثال البسيط.

الدعوة إلى سوازيلاند

منذ سنوات عدة نشأت معضلة في سوازيلاند عندما فقد الملك سوبوزا ملكته المنتخبة، ومن ثم بدأت المماحكة بين كنائس ذلك البلد في موضوع الفترة التي على الرجل أن ينتظرها قبل أن يتزوج ثانية، ولما لم يكن الأمر على تلك الدرجة من الأهمية إذ لم يزل لدى الملك ثماني زوجات أخرى! فقد تحول النقاش إلى السؤال التالي: «ما هي المدة التي على المرأة انتظارها في حالة وفاة الزوج قبل أن تتزوج ثانية؟» ولما احتدم الجدل بشدة في تلك المملكة الصغيرة، أمر الملك المحبوب بعقد مجلس لجميع كنائس الدولة لحسم الموضوع.

وقد اجتهد أحد الأخوة ممن اعتنقوا الإسلام في سوازيلاند، وهو السيد موسى بورمان، أن يحصل على موافقة الملك لإشراك كنسيته أيضاً (الإسلام) في هذا النقاش، ومن ثم وبموافقة الملك كان لي الشرف أن دعيت للاشتراك في النقاش.

وفي صبيحة يوم أحد اجتمع في قصر الملك ممثلون عن مختلف الطوائف المسيحية للتوصل إلى اتفاق يحدد فترة الانتظار الدنيا للأرملة.

ومنذ الصباح توالى العديد من الخطباء واحداً تلو الآخر، ويبدو أن الله تعالى قد

أعطى الأفارقة موهبة في الخطابة تجعل كلاً منهم جديراً بأن يكون بيلي جراهام أو جيمي سواجارت!

وفي نهاية كل خطبة كان الحاضرون يصفقون بحماس، ثم يأتي الخطيب التالي ويصم كلام سابقيه بالهراء، واستمر النقاش على هذا النحو حتى المساء، ثم في حوالي الساعة الخامسة مساء جاء دوري، فبدأت كلامي بأن لوحت لهم بنسخة من القرآن الكريم في يدي قائلاً: «من الصباح إلى المساء ونحن نحاول أن نتلمس الحلول لهذا السؤال: كم على الأرملة أن تنتظر بعد وفاة زوجها قبل أن تتزوج ثانية؟ وقد سمعنا في ذلك أقوال العهد القديم والعهد الجديد وأيضاً أقوال العهد الجديد والعهد القديم ومع ذلك لم نحصل على الجواب، والسبب أن الجواب على سؤالنا موجود في العهد الأخير».

العهد الأخير

كان «العهد الأخير» مفاجأة مذهلة لوعاظ المسيحية وكهنتها الحاضرين، إذ لم يسمعوا بهذا التعبير في حياتهم من قبل. فتابعت قائلاً: «إن الاستشهاد بالقديم والجديد.. والجديد والقديم لن يجدي نفعاً لأن الجواب يكمن في عهد الله الأخير للبشرية، ثم قرأت لهم من القرآن المترجم الذي في يدي الآية ٢٣٤ من سورة البقرة:

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1].

ثم سألت الحضور قائلاً: «الجواب أربعة أشهر وعشرة أيام، هل يوجد غموض؟» فجاء الجواب الجماعي واحد: لا، فتابعت الشرح لرجال الدين عن الحكمة من فترة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤ .

الأربعة أشهر وعشرة أيام.. ففي الآيات السابقة لهذه الآية يحدد القرآن أيضاً فترة انتظار المطلقة (عدتها) بثلاثة شهور قبل أن تتزوج ثانية وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[1].

ذلك كي يتم التأكد أولاً أن الطلاق المشروط لم ينتج عنه حمل، وثانياً لكبح وضبط التسرع في قرار الطلاق والاحتفاظ باحتمال الصلح خلال هذه الفترة[2]، في حين أنه في حالة الأرملة يحتاج الأمر إلى إضافة أربعين يوماً أخر على عدة المطلقة. وسوف يوافق الكثيرون على منطقية ذلك ولكن يقولون ما وجه الإعجاز فيه؟ يتضح الإعجاز من الآية رقم ٢٣٥ التي تلي ما سبق:

﴿ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ .. ﴾[3].

الحكمة الإلهية

﴿ وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ ذلك من حكمة الله تعالى ومعرفته بضعف مخلوقاته، فالرجل في جشعه وحبه للمال والجمال قد يستغل وضع الأرملة المسكينة المضطربة، لقد خسرت لتوها معيلها ورفيق حياتها وقد يكون ترك أطفالاً فهي مسؤولة عنهم وقد يكون بهت جمالها وصار حظها في الزواج من جديد ضعيفاً، ففي هذه الحالة من الارتباك وعدم الاستقرار العاطفي قد تتعلق ببارقة الأمل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨ .

(٢) انظر «ترجمة معاني القرآن الكريم» لعبد الله يوسف علي، الملاحظة رقم ٢٥٤ (المترجم).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥ .

وتتخذ قراراً متسرعاً بالموافقة إذا جاءها من يطلب الزواج منها، ولذا كان قوله تعالى ﴿ وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾.

فالعدة بعد الطلاق المشروط كما رأينا هي ثلاثة شهور، وللأرملة يضاف أربعون يوماً أخر حتى تستعيد اتزانها ورباطة جأشها، حتى إذا جاءتها عروض الزواج خلال فترة العدة فالفرصة متاحة لها للتفكير والتشاور مع أقربائها ومعارفها حتى يكون قرارها عقلانياً بدون تسرع.

ولا يمكن نسب مثل هذه الآيات المحكمات إلى محمد ﷺ وقد قال عنه تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[1]. وإذا كان لا يزال لدى غير المؤمنين من شك في ذلك فليواجهوا التحدي التالي:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ۝٨٨ ﴾[2].

لقد تم تحدي العالم أن يأتوا بمثل هذا القرآن منذ ألف وأربعمائة عام، ولا زال التحدي قائماً اليوم دون أن يتمكن أحد من ذلك! غير أن بعض النصارى العرب البالغ عددهم اليوم خمسة عشر مليوناً لم يريدوا أن تفوتهم الفرصة فأعادوا كتابة عهدهم الجديد بأسلوب حاولوا فيه تقليد القرآن، وقاموا دون حرج بانتحال كلمات وعبارات كاملة من القرآن الكريم ناهيك عن محاولة تقليد الأسلوب، دون أن ينسوا افتتاح كل فصل من فصول كتابهم بصيغة البسملة القرآنية! شيء لا يصدق حتى يشاهده المرء بعينيه. وإليكم نموذجاً مصوراً من «وحيهم» الجديد الذي ابتدعوه:

---

(١) سورة النجم، الآيات: ٣-٤ .

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨ .

obeikandl.com

ص ٢٢٨ من الأصل الإنكليزي

إنه برهان آخر، إن كـان ثمة حـاجة لبرهان أن الـقرآن لا يمكن تقليده مـهمـا حاول المقلدون، والتـحـدي لايزال قـائماً، فـهـو مـعـجزة المعـجـزات، وفي كلمـات القس بوسورث سميث Rev. Bosworth Smith **«إنه لمعجزة حقاً».**

obeikandl.com